

أندلسية

[من ذكريات بحيرة لوجانو
السويسرية. صيف عام ١٩٤٦.]

حسُّكَ النشوانُ والكأسُ الرويَّةُ جددا عهدَ شبابي فسكِرتُ
حُلْمُ أيامٍ وليلاتٍ وضيئهُ عبرتُ بي في حياتي وعبرتُ
أنا سكرانُ وفي الكأسِ بقيهُ أيُّ نحرٍ مِن جَنَى الخلدِ عصرتُ
أه هاتي ، قَرَّبِي الكأسَ إِلَيَّ
واسقنيها أنت يا أندلسيه

لا تقولي أي صوتٍ مُلهمٍ قاد روحينا ، فجئنا ، والتقينا
دُمُكِ المشبوبُ فيه من دمي روحُ ماضٍ بالهوى يهفو إلينا
أختَ روحي ! قَرَّبِيها من فمي إن شربنا أو طربنا ما علينا
أه هاتيها من الحسنِ جَنِيَّه
واسقنيها أنت يا أندلسيه

كانت النظرةُ أولى نظرتين ثم صارت لفظَةً ما بيننا
والهوى يعجب من مغترين لم تَقُلْ أنت ... ولا قال أنا ...
وسبحنا فوق وادٍ من لجين تحت أفقٍ من غمامٍ وَسَنَى
أتملأها سماءَ عرييهُ
وأنادي أنت يا أندلسيه

صَحْتُ يا للشمس في ظلِّ المغيَّبِ تَلَمَّ الزَّهْرَ وأوراقَ الشَّجَرِ
 خَلَّتْهَا بينَ محبٍّ وهيبِ لحظةً عند وداعٍ وسَفَرِ
 فانتنتَ تنظرُ للوادي العجيبِ صورا يَدُهْنِ في إثرِ صورِ
 وبسمي همسةً منها شجيَّةُ
 وبروحى أنتِ يا أندلسيَّةُ

ونزلنا عند شطِّ من نُضارِ وانتحينا خلوةً بعد زحامِ
 قلتُ والليلُ بأعقابِ النهارِ ألكِ الليلةَ في لحنِ وجامِ ؟
 ما على مغتربي أهلِ ودارِ إنْ أدارا هاهنا كأسَ مدامِ
 آه هاتِها كخديكِ نقيه
 واسقنيها أنتِ يا أندلسيَّةُ

واحتوتنا بين لحنِ مطربِ حانةً مثلُ أساطيرِ الزَّمانِ
 صوَّرتُ جدرانها بالذهَبِ فتنَ العشقِ وأهواءِ الحسانِ
 قالت : اشربْ قلتُ لبَّيكِ اشربي ملءَ كأسينِ فأنا ظامئانِ
 خمرٌ روميَّةٌ أو بابليَّةُ
 إسقنيها أنتِ يا أندلسيَّةُ

هتفتُ بي ويداهُ في يدي تدفعُ الكأسَ باغراءٍ وعُجبِ
 أيُّ قيثارِ شجىٍّ عَرِدِ خَلَّتْهُ ينطقُ عن أسرارِ قلبي
 قلتُ طفلٌ من قديمِ الأبدِ يمزجُ الألحانَ من نحرِ وُحْبِ
 ملءَ كأسٍ في يديه ذهبيَّةُ
 فاسقنيها أنتِ يا أندلسيَّةُ

مضى الليلُ فنادى بالروحِ كلُّ خالٍ وتعايا كلُّ صَبٍّ
 وخبا المصباحُ إلاَّ كأسَ راحِ نورُهُ ما بين إيماضٍ ووَثْبِ
 قد تحدَّى وهجُهُ ضوءَ الصباحِ فبقينا حوله جنباً لجنبِ
 نتساقاها على الفجرِ ندِّيهِ
 وأغنى أنت يا أندلسية

يا عروسَ الغربِ يا أندلسية بَعُدْتُ داركِ والصفى دنا
 أين أحلامُ الليالي القمرية والبحيراتُ مُطِيفاتُ بنا
 إذكري بين الكؤوس الذهبية حانَةً ، يا ليها دامت لنا
 حين أدعوك صباحاً وعشيهِ
 إسقنيها أنتِ يا أندلسية

على محمود طه